



أمير الشعر في العصر القديم^(١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أترجعه في أفراد شاعر أو كاتب من الماضين بالتأليف ، ان تصنع كأنك تُعيدُه الى الدنيا في كتاب وكان انساناً ، وترجمه درساً وكان عسماً ، وترده حكاية وكان عملاً ، وتقنه يزمنه الى زمنك ، وتعرضه بقومه على قومك ، حتى كأنه بدأ ان خلقه الله خلقه بإيجاد مخلقه العقل خلقة تفكير

من أجل ذلك لا بد أن يتقضى المؤلف في الجمع من آثار المترجم وأخباره ، وان يحمل في ذلك من العنت ما يجعله لو هو كان بحيري وراه ملكي من ترجمه لقراءة كتاب أعماله كتابه في يديها ولا بد أن يبالغ في التحيص والمقابلة ، ويدقق في الاستنباط والاستخراج ، ويضيف الى عامة ما وجد من العلم والخبر خاصة ما عنده من الرأي والفكر ، ويسل على ان ينتج ما انتهى اليه الماضي في أدبه وطله بما بلغ اليه الحاضر في قه ونلسه . وذلك من عمل العقل المتجدد ابداً والمترادف على هذه الحياة بتذاهبه المختلفة ، يشبه عمل المعمر المتجدد ابداً والمترادف بالليل والنهار على هذه الارض . كل نهار او ليل هو آخر وهو اول ، وكذلك العقول كلها آخر من ناحية وأول من ناحية والتجدد في الادب انما يكون من طريقتين : فاما واحدة فابداع الادب الحلي في آثار تشكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، واما الاخرى فابداع الحلي في آثار الميث بما يتناولها به من مذاهب النقد المتعددة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الابداع الاول ايجاد ما لم يوجد ، وفي الثاني اعاد ما لم يتم ، فلاحرم كانت فيها معاً حقيقة التجديد بكل ما فيها ولا تجد الا من نعمة فلاحديد الا مع القديم

واذا تبينت هذا وحققت ادركت لماذا يتخط متحلوا الجديد يتنا وأكثرت يدعيه سفاهاً ويتقلده زوراً ، وجملة عملهم كوضع الزمعي الضرور الايض (البودرد) على وجهه ثم يذهب يدعي انه خرج ابيض من امه لا من العلبه فان منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يجيده في طبعه ، ومنهم من

(١) ومنع الاديب محمد صالح منك رسالة قومه في امرية القيس « أمير الشعر في العصر القديم » تقع في نحو مائتين وخمسين صفحة سلك فيها مسلكاً طريفاً وحلاها بمقدمة بلغة الاستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي . نفس المؤلف المقتطف بنشر المقدمة وبمضى اجبات الرسالة فيها طبعاً لرثبتنا

يدرس الكاتب البليغ وقد باعده الله من البلاغة ومذاهبها وامرارها ، ومنهم من يجدد في تاريخ الادب ولكن بالتكذب عليه والتجسس فيه والتهاب في منعب الحائفة ، يضرب وجه القبل حتى يحيى "مديراً" ووجه المديح حتى يعود متيلاً فاذا لكل طريق جديد . وينسى أن جديده بالهزيمة لا بالطيحة وبالزور لا بالحق

ألا إن كل من شاء استطاع أن يطب لكل مريض لا يكلفه ذلك الا قولاً بقوله وتالياً يديره ، ولكن كذلك كل من وصف دواء استطاع أن يشفي به ؟

وبعد فقد قرأت رسالة امرئ القيس التي وضها الاديب السيد محمد صالح سمك قرأت كتابها — مع انه نائي لا بمد — قد ادرك حقيقة الفن في هذا الوضع من تجديد الادب فاستقام على طريقة غير ملتوية ومضى في المرح السديد ولم يدع التثبث وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحسين الرأي ، ولا قصر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء ، ولا اراه قد فاته الا ما لا بد أن يفوت غيره مما ذهب في اهل الرواة للمتقدمين واصح الكلام فيه من بدم رجماً بالنيب وحكماً بالظن

كان امرأ القيس في رأيي انما هو عقل ياني كبير من العقول المفردة التي خلقت خلقها في هذه اللغة ، فوضع في يانها اوضاعاً كان هو مبتدعها والسابق لها ونجح لمن بعده طريقها في الاحتذاء عاها والزيادة فيها والتوليد بها وتلك هي منقبة التي اتقدها والتي هي سر خلوده في كل عصر الى دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة . فهو اصل من الاصول في أبواب من البلاغة كالتشبيه والاستمارة وغيرها حتى لكأنه معنع من مصانع اللغة لارجل من رجالها . وكما يقال في زماننا في أم الصناعة : سيارة فورد وسيارة فيات ، يمكن ان يقال مثل ذلك في بعض انواع البلاغة العربية : استمارة امرئ القيس ونسبه امرئ القيس ولكن بتحقيق هذا الباب واحصاء ما انفرده الشاعر وتأريخ كتابته اليانية مما لا يستطيعه باحث وليس لنا فيه الا الوقوف عند ما جاء به النص

ولقد نهنا في (اعجاز القرآن) الى مثل هذا إذ نمقد ان اكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديداً في اللغة لم يوضع من قبله ذلك الوضع ولم يجر في استعمال العرب كما اجراء ، فهو يصب اللغة صباً في اوضاعه لاهلها لا في اوضاع اهلها ، وبذلك يحقق من نحو الف واربعماية سنة ما لا نظن فلسفة الفن قد بلغت اليه في هذا العصر ، إذ حقيقة الفن على ما رى ان تكون الاشياء كأنها ناقصة في ذات انفسها ليس في تركيبها الا القوة التي بنيت عليها . فاذا تناولها المصنوع الحاذق اليهم اضاف اليها من تسييره ما يشعرك أنه خلق فيها الجمال انصلي فكأنها كانت في الحقيقة ناقصة حتى اتمها

وهذا المعنى الذي يناه هو الذي كان يحوم عليه الرواة والطاء بالشعر قديماً بحسونه ولا يجدون يانه وتاويله ، فترى الأصمعي مثلاً يقول في شعر نيد : إله طينسان طَبْري . أي عجمك من ولكن لا رونق له . أي فيه الشدة وليس فيه الجمال ، أي فيه التركيب وليس فيه الفن والعقل الباني كما قلنا في غير هذه الكلمة هو ثروة اللغة وبأسانها تعامل التاريخ وهو الذي يحقق فيها فن القاطها وصورها ، فهو بذلك امتدادها الزمني وانتقالها التاريخي وتخلتها مع أهلها إنسانية بعد إنسانية في زمن بعد زمن ، ولا تجديد ولا تطور إلا في هذا التخلق متى جاء من أهله والجديرين به . وهو العقل الخلق للفسير والتوليد وتلقى الوعي وأدائه واعضاد المعنى من كل مادة وإدارة الأسلوب على كل ما يتصل به من المعاني والآراء فيقلها من خلقها وصيها العالمية إلى خلق إنسان بينه هو هذا البقري الذي رزق البيان والسبب الذي أوامنا إليه بقي امرؤ القيس كلبزان المنسوب في الشعر العربي بين به الناقص والوافي . قال الباقلافي في كتابه (الاعجاز) : وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون شعره (يريد امرؤ القيس) فلاناً وفلاناً ويضون أرقامهم إلى شعره حتى ربما وأزنوا بين شعر من لقيناه (توفي الباقلافي سنة ٤٠٣ لهجرة) وبين شعره في أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أو سواهم وبينهم وبينه أو تقريباً موضع تقدمه عليهم وروژه بين أيديهم . آه

ومعنى كلامه أن امرؤ القيس أصل في البلاغة ، قدمات ولا يزال يخلق ، وتطورت الدنيا ولا يزال يهيم بها ، وبلغ الشعر العربي غايته ولا يزال عرية عند الغاية وعرض الباقلافي في كتابه طويلاً امرؤ القيس^(١) فاستند منها آياتاً كثيرة يدل بذلك على أن أجود شعر وأبدعه وأنصحه وما اجعوا على تقدمه في الصناعة والبيان هو جميل آخر غير نظام القرآن لا يجمع من آفات البشرية ونقصها وعوارها ، فركب في ذلك رأسه ورجليه معاً فأصاب وأخطأ ، وأصف وتهدى ، وأنصف ونجامل . وكل ذلك لمكانة امرؤ القيس في ابتكاره الباني الذي لا يمكن أن يدفع عنه . ولما استند قوله :

ويضة خدر لا يرام خباؤها
نشئت من لهوها غير مجمل

قال : « فقد قلوا عن ذلك أنها كيبضة خدر في صفائها ورقها . وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق إليها بل هي دائرة في أنواء العرب » . ألا ليت شعري هل كان الباقلافي يسمع من أنواء العرب في عصر امرؤ القيس قبل أن يقول (ويضة خدر) ؟

على أن الكتابة عن الحبيبة (بيضة الخدر) من أبداع الكلام وأحسن ما يؤتى العقل انشعري ولو قلنا اليوم شاعر في لندن أو باريس بالمعنى الذي اراده امرؤ القيس — لا بما

(١) أي مبتدأ . وهذه المقامات التي تسمى المقامات لم تكتب وقد تعلق كما سنبينه في تاريخ أدب العرب

فسرها به الباقلائي — لاستبدعت من قائلها ولاصحت مع القيلة على كل فم جميل . بل هم يبرون في بعض يانهم من طريق هذه الكلمة فيكون عن انيت الذي يتلاق فيه الحيطان (بالمش) ، وما يتخذ النش الا لليضة . اما عن الشاعر العظيم ان حينئذ في نومتها وترتها ولين ماحولها ، ثم في مسها وحرارة الشياب فيها ، ثم في رقتها وصفاء لونها وبسرها ، ثم في قيام اهلبها وذوبها عليها ولزومهم اياها ، ثم في حذرهم وسهرهم ، ثم في انصرافهم بجملة الحياة الى شأنها وبجملة القوة الى حياطتها وانحمامة عنها ، هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كيضة الجارح في هسه ، الا انها يضة حذر ، ولذلك قال بعد هذا البيت :

تجاوزت احراساً اليها ومشراً علي حراساً لو يسرون مقتلي

قتلك بعض مآي الكلمة زهي كما ترى ، وكذلك ينبغي ان يفسر اليان



رئيسه العرب التقدمه

مباحث تاريخية عامة

أبو الوفاء البوزجاني الحاسب

مع ان الغربيين قد ضربوا بسهم وافر في البحث عن مآثر علماء العرب في مختلف الفروع فان شخصيات كثيرة لعظائما السالفين لا تزال غامضة اذ لم يكن لها نصيب يذكر من البحث والتحليل ، والمصادر التي بين ايدينا عن تاريخ الرياضيات لا تفيض في البحث بل تكتب باختصار لا يني بالمراد ولا يطغى غلة المنقب . والملاحظ ان المصنفين كلما تقدموا في البحث عن مآثر العرب تجلس فضل العرب في السبق الى اكتشاف كثير من النظريات والابحاث الرياضية . فهم (اي العرب) سبقوا فرما (Fermat) في اكتشاف النظرية المسماة باسمه^(١) كما انهم سبقوا دكارث وتوماس باكر (Descartes and Thomas Baker) في حل بعض معادلات الدرجة الثالثة^(٢) . والشريب ان بعض مؤلفي الترجمة لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها او نقل عنها كأنه يدعيها لنفسه ، فليوناردو (Leonardo of Pisa) كتب في الجبر والهندسة وقد ظهر حديثاً انه كان يتشد كثيراً على التأليف السرية

(١) مجلة الكلية الاميركية : عدد مايو سنة ١٩٢٨ من ٢٦٩ اما النظرية فهي : مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً (٢) كلجورى — تاريخ الرياضيات — سنة ١٩٢٤ ، ص ١٠٧